

تونس بعد الانتخابات.. عودة النظام السابق أم انحسار الثورة؟



خاص – الإمارات 71
تاريخ الخبر: 2014-10-30

لا يزال المشهد السياسي التونسي عاصفا وضبابيا بعد نتائج الانتخابات البرلمانية والتي انطوت على نوع من المفاجأة النسبية ليس نتيجة تراجع حزب النهضة عن الفوز بالمركز الأول وإنما لوصول "نداء تونس" إلى المركز الأول. وبين تحليل الشامتين وتبرير المريرين، أضحت الساحة التونسية على خارطة سياسية وحزبية جديدة. فما حقيقة ما حدث، هل انحسرت الثورة، هل عاد النظام السابق، وهل فقدت النهضة فرصة العودة إلى الحكم؟ وما هي خياراتها في المعارضة، هل ستقدم نموذجا ودليلا على إيمان الإسلاميين بالديمقراطية وليس كما يتهمها البعض بأنها تؤمن بالانتخابات فقط؟

وزن النهضة الانتخابي .. فشل أم تعثر

بعد أول انتخابات شهدتها تونس بعد الثورة في أكتوبر 2011، فاز حزب النهضة بـ 89 مقعدا من أصل (217). أما "نداء تونس" فقد فاز بـ 80 مقعدا في هذه الانتخابات، أي أقل من نسبة النهضة في الانتخابات الأولى. ولكن هذا لا يقلل من حجم تراجع النهضة إلى 70 مقعدا، وهي خسارة واضحة وكبيرة.

ورغم أن ربح الانتخابات وخسارتها هي "سنة" العمل السياسي وتداول السلطة ونتائج طبيعي لاختيارات الشعوب، إلا أن خصوم النهضة بالغوا في إظهار الشماتة السياسية، واعتبار خسارة جولة انتخابية بأنه فشل، رغم أن هذا المشهد يتكرر في الديمقراطيات العريقة، ويقرأ في سياق طبيعي.

طارق الحميد الكاتب السعودي في مقال له بالشرق الأوسط ذهب بعيدا في قراءة نتائج هذه الانتخابات، عندما اعتبر "فوز «نداء تونس» ليس عودة للفلول، بل هوانتصار للإرث الثقافي الحقيقي الذي شكله نهج، ومنهج، الرئيس التونسي الأسبق الحبيب بورقيبة، وعليه فإن انتخابات تونس تقول لنا الآن إن إرث الدولة التونسية هو من نجح هناك، بينما خسر الإخوان، وبكل مكان، كما خسر معهم تيار الإسلام السياسي"، على حد زعمه.

مقابل ما ذهب إليه الحميد، قال رئيس تحرير صحيفة المصريين جمال سلطان في مقال له: "صلاية النهضة وخبرتها السياسية والشعبية وتوفيقها في اتخاذ القرارات المؤلمة

والتنازلات في الأوقات المناسبة جنب تونس المحنة، وحمى المسار الديمقراطي وحمى الثورة، وهذا هو المكسب الأهم من التجربة". وأضاف سلطان، "خسارة انتخابات حادّ عارض يمكن تعويضه بعد عدة أعوام وربما بعد عدة أشهر إذا اضطرت البلاد لانتخابات مبكرة، ولكن خسارة الثورة كان ينهي كل شيء ويحبط المشروع الديمقراطي لعقود طويلة مقبلة...، حققت النهضة نتيجة جيدة بكل تأكيد تجعلها قوة كبيرة ونافذة وتظل بديلاً مطروحاً يطارده الحزب المتصدر لأن الفارق ليس ضخماً"، على حدّ تعبيره.

راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة، حاول تفسير هذا التراجع في وزن النهضة الانتخابي بالقول: "إن «الشعب التونسي تعرّض لمحاولات متكررة من الغش ومن غسيل الأدمغة ولكنه سيبقى شعباً ذكياً ووفياً وأبياً».

النهضة والحكم.. عودة أم خروج

في الواقع، فإن الثورة التونسية تعرضت لمحن كبيرة وضغوط خارجية هائلة بأدوات داخلية، في أعقاب الانقلاب في مصر، ما اضطرت النهضة للتخلي عن الحكم والخروج من الحكومة نهائياً وهي الأغلبية، أي لم يلتزم اللاعبون السياسيون بأصول الديمقراطية والأكثرية. وحتى عندما كانت النهضة هي الأغلبية، لم تكن أغلبية مطلقة بل تحالفت مع حزبين آخرين لتشكيل حكومة. ونداء تونس ليس أغلبية مطلقة اليوم أيضاً، وقد يكون من الخيارات المناسبة والأفضل للفائز بالمركز الأول أن يشكل حكومة مع النهضة، لأن تحالف الأحزاب الكبرى مع أحزاب صغرى في هذه الحالة يضعها في حالة ابتزاز سياسي ذو ثمن باهظ.

القائد السبسي زعيم قائمة نداء تونس صرح بعد الانتخابات "الناس الذين لديهم أفكار غير أفكارنا نقبلهم ومنتاور معهم ولا نعتبرهم أعداء، ليسوا أعداءنا بل منافسينا" وذلك في إشارة إلى حركة النهضة. لأنه يدرك هو والنهضة التي كان لها تصريح قبيل الانتخابات تؤكد على الشراكة الوطنية، أنه لا أحد يستطيع الانفراد بالسلطة. راشد الغنوشي الذي بارك لقائمة نداء تونس فوزها بالانتخابات، لم يأبه لخسارة جولة انتخابية وإنما كان المهم هو استمرار مخرجات الثورة وعدم السماح بعودة النظام السابق. فقد قال إن «النهضة لن تسمح بعودة أصنام الحزب الواحد والزعيم الأودد والانتخابات المزيفة والمال الفاسد إلى الأبد». وأضاف، خلال مؤتمر شعبي أمام مقر حركة النهضة في العاصمة تونس: «المستقبل في تونس اليوم للحرية وللإسلام والوحدة الوطنية ورفض العنف والإقصاء والإرهاب».

برنامجان مختلفان

نظرا للاختلاف بين برنامج النهضة ونداء تونس وتدخل جهات خارجية، يستعبد مراقبون، أن يدخل الجانبان في حكومة، ما يعني أن النهضة ستلعب دور المعارضة. فقد قال نائب رئيس حركة النهضة، عبد الحميد الجلاصي، إن «الخط السياسي لحركة النهضة والتحالقات المحتملة مع باقي الأحزاب ستكون مشروطة بتطبيق البرنامج الثوري وضمن استقرار تونس وعلى تحقيق أهداف الثورة وأن الموقع السياسي غير مهم بقدر أهمية البرنامج الذي ستضطلع به مستقبلا».

من جهته، قال القيادي بحركة "نداء تونس" ناجي جلول: "نحن سنتحالف مع من يشبهنا"، مذكرا بأن حزبه وعد ناخبيه بعدم التحالف مع حركة النهضة "لاختلاف المرجعيات الأيديولوجية". وهو ما يقلل من احتمالية مشاركة النهضة في حكومة قادمة.

النهضة في المعارضة

لا يمكن التنبؤ بعد بما ستؤول إليه مداوات ومشاورات تشكيل حكومة في تونس، غير أن الأرجح أن تقف النهضة في خندق المعارضة. وهنا، يمكن طرح عددا من التساؤلات، منها: هل تقدم سلوك معارضة بناءة، أم ترد على الحكومة الجديدة التونسية بإطلاق موجة من الاعتصامات والمظاهرات كما فعلت هي أثناء حكومة النهضة؟ المطلعون على تجربة النهضة السياسية يستبعدون أن تلجأ إلى الكيد والمناكفة السياسية، بل ستتجه إلى المعارضة الموضوعية، إلا إذا حاولت الحكومة التي ستتشك لأغليبتها نداء تونس من إعادة رموز سياسية سابقة، فمن المتوقع، ووفقا لتصريحات الغنوشي السابقة، ألا تسمح النهضة بذلك، ما يدفع البلاد نحو شكل جديد من أشكال الرفض.

دلالات وإشادات بتجربة النهضة السياسية

بالنسبة للدلالات التي يمكن استخلاصها من التجربة التونسية، وذلك في إطار مقارنتها بأساليب التغيير التي شهدتها بقية دول الربيع العربي، أشار الكاتب والمحلل السياسي التونسي صلاح الدين الجورشي إلى ميزة غياب النبرة الاستثنائية للنخبة التونسية، موضحا أن الخط العريض للنخبة كان إدارة الصراع مع الإسلاميين وفق الدستور والقانون ونتائج الانتخابات. وأضاف الجورشي في تصريحات لقناة "الجزيرة" أن حركة النهضة ساهمت بفاعلية في إنجاح المسار الديمقراطي بسبب انغماسها في الخصومية التونسية وعدم التعامل

بوصفها حركة إسلامية عالمية.

وفي السياق ذاته، قال أستاذ العلوم السياسية في جامعة "وستمنستر" البريطانية عبد الوهاب الأفندي إن أبرز الدروس المستفادة من التجربة التونسية هو "وجود جبهة متحدة من أجل الديمقراطية".

أما الكاتب الكويتي عبدالعزيز الفضلي، فقد اعتبر أن "الثورة المضادة في تونس جاءت عبر الانتخابات بتقديم «نداء تونس» والتي تجمع فلول النظام القديم، وبعض المعادين للتوجهات الإسلامية، وبدعم من الكارهيين لنجاح ثورات الربيع العربي".

وتابع الفضلي، أعتقد أن حزب النهضة وإن لم يفز بأكثر عدد من المقاعد إلا أنه فاز بالحفاظ على استقرار البلد، وفاز بتعزيز الجو الديمقراطي، وفاز بإفشال المؤامرة، وفاز بعدم إراقة الدماء، بل لقد وجّه صفة قوية في وجه كل من يدعي أن الإسلاميين لا يحترمون صناديق الاقتراع، وبأنهم لا يعرفون سوى القتل والإرهاب.

من جهتها، قالت صحيفة التليجراف البريطانية: "اعتراف اسلاميي تونس بالإخفاق أنقذ الديمقراطية" فهو اقرار شديد الأهمية في اطار انتقال البلاد إلى النظام الديمقراطي.

وأضافت أن الحركة الاسلامية في تونس اختارت بذكاء، التسويات والحوار الوسطى على العنف والمواجهة لتكون الرابع الوحيد في منطقة دول الربيع العربي.



UAE71NEWS